مأساة 08 ماي 1945
بين الواقع التاريخي والادعاءات السياسة
على ضوء نماذج من الأرشيف

- الأستاذ الدكتور: حسان مغدوري
جامعة زيان عاشور- الجلفة

- **الملخص**: ما زال **8** ماي **1945** يشكل محطة مؤلمة في الذاكرة الوطنية بالنظر للتضحيات الجسيمة التي قدمها في سبيل مناهضة الاستعمار واقرار معنى حق الشعوب في تقرير مصيرها واذا كانت الدراسات قد خصصت مساحة واسعة لمناقشة خلفيات هذه الجرائم وبشاعتها وحاولت تقديم مبررات اقتصادية واجتماعية وبمجريات عفوية غير مقصودة الا ان الثابت هو ان الوعي الوطني قد عرف نضجا لافتا عبر عنه بيان **10** فيفري **1943** وتأسيس حركة أصدقاء البيان والحرية سنة **1944** وخروج الشعب الجزائري في مظاهرات سلمية للمطالبة بالاستقلال فكان العنف اخر ما توصل اليه العقل الاستعماري لإجهاض المش وع الوطني وهو ما تكشفه تقارير الشرطة الفرنسية للمرحلة.

- **الكلمات المفتاحية**: **08** ماي **1945**، تقرير المصير، أحباب البيان والحرية، تقارير شرطة إدارة الاحتلال، الاستقلال.

- Résumé: le **08** mai **1945** restera un événement douloureux dans la mémoire nationale au regard des sacrifices massifs qu'il a consentis pour combattre le colonialisme et asseoir le sens du droit des peuples à disposer d'eux-mêmes. Une remarquable maturité exprimée par le déclaration du **10** février **1943** et la fondation du mouvement original.
Le peuple algérien est dans des manifestations pacifiques pour réclamer l'indépendance, alors la violence a été la dernière chose à laquelle l'esprit colonial est parvenu pour faire avorter le projet national, ce que révèlent les reportages français de l'étape.
- Les mots clés: le **8** mai **1945**, Rapports de police du département de l'occupation, Indépendance

- المقدمة:

تبقى مجازر **08** ماي **1945** بعدد ضحاياها محطة لافتة في العلاقات الجزائرية الفرنسية فهي تعبر عن مرحلة تاريخية كان فيها العالم يمر بتحولات عميقة في النظم السياسية وفي المفاهيم الفكرية، وتزامنت مع توقيع الهدنة لوقف الحرب العالمية الثانية ومع الاستعداد للاحتفالات وهل كان بالإمكان معاقبة شعب تقدم بمشاركة ما يناهز **300.000** جندي حاربوا إلى جانب فرنسا في جبهات القتال ووطن عد خزانا للثروة ومستودعا لسواعد الرجال من أجل إنقاذ فرنسا الأم على حد وصف أحدهم، وعلى أية حال فإن هذه الحرب قد كشفت عن اختلالات عميقة في النظام الاستعماري الفرنسي بالجزائر وعن تصاعد وعي وطني لافت كان يتغذى من رصيد الماضي في المقاومة واستحكم في ظل تفاقم أزمة الجوع والمرض وأخذ يتبلور في تقارب نوعي بين التيارات الوطنية وفي ارتفاع سقف المطالب مع تأسيس أحباب البيان والحرية وكشف عن حجمه في الثامن من ماي **1945** غير أن فظاعة

الجريمة تطرح سؤلا جوهريا عن الأسباب القوية لموقف فرنسا العنيف وعن طبيعة الأعمال التي قام بها الجزائريون حتى تحملوا ومن يتحمل مسؤولية الضحايا؟

1- مظاهر الازمة واشارات السخط في الجزائر قبل 1939:

كانت الفترة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية تعج بمظاهر الاحتقان التي ألمت بكافة مجالات الحياة الأساسية، ولم تكن المؤشرات خلال هذه الفترة توحي بقرب الاستقرار، ولعلنا باقتطاع مواضع عن هذه المرحلة التي لا يمكن فصلها عن مجازر **8** ماي **1945** بصفتها تيار من القلق والوعي أخذ يكتسح، سيسمح لنا بتقديم رؤية أوضح عن طبيعة الانزلاق الذي وقعت فيه الإدارة الاستعمارية.

كان الشعب الجزائري قبل انطلاق الحرب الكبرى سنة **1939** يعيش حالة من الانسداد السياسي والإحباط النفسي، فحكومة الجبهة الشعبية قدمت وعودا كثيرة بغير أن ترى النور مطلقا، وتحولت الجزائر إلى مسرح للزيارات المتكررة للجان التحقيق ومعرضا للمشاريع والاقتراحات، وبات البحث عن الخلاص في الاستجابة للخدمة العسكرية أمنية لكل الجزائريين[1]، ولعبت الجزائر كعادتها القاعدة الخلفية للمتروبول في أوقات الحرب وقامت الإدارة الاستعمارية بتجنيد **215000** وضيقت على الحريات العامة وفرضت الرقابة على الصحف والراديو بموجب مرسوم **27** أوت **1939**، وتم إقرار حالة الطوارئ منذ **01** سبتمبر **1939**، وتقرر وضع مراقبة المعلومات بمصلحة قيادة الأركان بالجزائر العاصمة، التي كانت تتلقى بدورها كافة تعليماتها من المتروبول، واختفت الصحافة الوطنية عن

الأنظار بفعل الرقابة الصارمة، وكان اعتقاد الجزائريين بأن فرنسا باستطاعتها الصمود بدون مساعدة الجزائريين[2].

وإذا كانت هذه الصورة العامة للملامح السياسية للمرحلة، فإن الوضع الاقتصادي والاجتماعي لم يكن على أحسن حال، وتبين بأن السياسة الزراعية التي كانت ترتكز على إنتاج الكروم قد أضحت عاجزة عن استيعاب المشاكل المتصلة بالندرة في المنتجات الصناعية، وانطلق البحث في انشاء صناعات محلية في محاولة لضمان وسائل التموين والتقليص من الاستيراد[3]، وانتشرت مظاهر السخط في الأوساط المهنية، فكثيرة هي التقارير والصحف التي عبرت عن حالة الغليان التي اجتاحت الحركة العمالية، وأثارت تمرد الفلاحين في عديد الحقول التابعة للكولون، وقد عنونة احدى الصحف الحرة الصادرة سنة **1936** (أصبح الاضطراب في البلاد ينذر بالأخطار)، اذ تناول الموضوع الحديث عن مجموعات من الجزائريين كانت تتحرك في محيط مزارع أحواز العاصمة وهي تحمل السلاح وتقتحم الملكيات الخاصة وتهدد الملاك وتصد العمال، وتبهت لأعمال مماثلة في مناطق بير خادم وبير، مراد رايس، سحاولة، دراية، الأربعاء، سيدي موسى، الحراش، جسر قسنطينة وغيرها، ففي كل مكان كما اضافت، كانت مجموعات الأهالي تحمل عصي وقطع من حديد وتجوب الطرقات وتسعى لصد العمال عن العمل، وتهدد الملاك والأوروبيين بغرض التوقف عن النشاط.

لقد أوقف المتظاهرون يضيف المقال، حركة السيارات، وساد شعور بالخوف لدى النساء في الحقول البعيدة، وشرعوا في النزوح باتجاه المدن طلبا للأمن، وتلقى على إثر ذلك ممثلو القوات العمومية أوامر صارمة كانت

تقضي بتوقيف كل من يقتحم ملكية الأوربيين أو من يقف في وجه العمال، وأشار المقال في الأخير، إلى أن معظم المحرضين لهذه الأعمال كانوا شبابا تتراوح أعمارهم من **17** الى **18** سنة[4].

كان كبار ملاك الأراضي يتدخلون في مرافق توجيه الشأن الاقتصادي، فهم كانوا ممثلون في المندوبات المالية منذ نشأتها في **1898**، وهم من كان يوجه القرار في المجالس النيابية، وهم من كان يتحكم في دواليب السياسة العامة للأهالي، ولعلنا نستشف من الرسالة التي كتبها رئيس (فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر)، السيد أبو (Gabriel ABBO) في **13** جوان **1936** وهي الفترة التي ارتفع فيها منسوب السخط، حرص هؤلاء الشديد في الإبقاء على الوضع دونما تغيير في العمق، ففي جو الإضرابات العارمة التي عرفتها الجزائر، قال السيد عبو، "بأن الأحداث الخطيرة التي تتفاعل في بلدياتنا منذ أيام تستحق أن نقف عندها في كل البلديات الجزائرية التي طالها الاعتداء او تلك التي لم يصلها بعد، وتبعا لما أكده لي عدد كثير من زملائنا، فإنني أخذت قرارا بتأجيل سفري إلى فرنسا بعدما كان من المفترض أن يكون اليوم، وأن أتفرغ حتى أكون تحت تصرف كل رؤساء بلديات الجزائر.

لقد اجتمعنا بمقر (فيدرالياتنا) لنتمكن من جمع كافة المعلومات التي يمكن أن تقدم لنا حوصلة دقيقة عن الوضع، وحرصنا بالموازاة، على تكثيف الاستطلاع بشأن الأحداث التي يمكن أن تقع، وسأبقى على اتصال دائم بالجهات المختصة للتعاون معها تعاونا قيما، كما تمكنا من الحصول على وعد حاسم اليوم، بأنه سيتم اتخاذ كل الإجراءات من أجل إعادة النظام، وعليكم أن تستعلموا بانتظام وبدقة عن كل ما يحدث عندكم، بما يسمح لنا بالتجاوب السريع والمناسب[5].

لقد كانت الإشارات الضمنية التي حملها المقال تنبه إلى أن ثمة جيل جديد بدا يزحف وهو يحمل أفكارا تعبر عن روح المرحلة وينبغي أن تتجند القوات العمومية لمجابهته بكل قسوة، ويبدو جليا أن نظرة سلطات الاستعمار لم يكن يهمها الا إزالة مظاهر الأزمة بصرف النظر عن مسبباتها، ولذلك كان موقف فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر قابعا في فلسفة اقصاء العنصر الجزائري من اهتمامات السياسة العامة للاستعمار، وكان يعمل على ابقاءه مستعبدا، ولعل هذه الرسالة تفتح لنا نافذة عن التيار السياسي القوي الذي كان وراء جمود وتصلب مواقف الحكومات الفرنسية حيال تطور الوعي القومي اثناء الحرب والتي كشفتها مأساة **8** ماي **1945**.

لقد جاء قرار أكتوبر **1939** القاضي باعتقال عدد كبير من المناضلين والحكم على مصالي الحاج ب **16** سنة سجنا كتدبير احترازي عن الخوف من التمرد، وربما كان أحد الكتاب المصريين الذين كتبوا في جريدة الجزيرة الصادرة بسوريا في **1937** متنبئا، حينما ذهب إلى أن حوض المتوسط سيكون حلبة للتجاذبات والخصومات، وبأن تونس والجزائر والمغرب قد تملكها روح الكفاح والدفاع عن الاستقلال[6].

لقد كانت مئات الصفحات التي غطت هذه المظاهر في سنوات الثلاثينات، ولذلك فإن بداية إشارات السخط والتمرد الصريح وعدم الوثوق في وعود السياسيين وضغط ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري قد بدا جليا ومستعدا للانتقال لمرحلة أنضج، ستتبلور بمستجدات ظروف الحرب العالمية الثانية، وأن المواقف المتصلبة لإدارة الاحتلال ونفوذ رؤساء البلديات الذين كانوا يمثلون اللوبي الكولونيالي قد دفعوا بصياغة مفهوم

القمع ضمن رؤية هيكلية متكاملة جمعت السياسيين والعسكريين وبإيعاز من المستوطنين.

2- تصاعد التيار الوطني اثناء الحرب العالمية الثانية

1/ 2- تداعيات الغزو الألماني لفرنسا

طفا تصاعد التيار الوطني إلى السطح بشكل بارز خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية، ولا شك أنه كان يتغذى من التطورات السياسية والعسكرية التي أثرت على فرسا كدولة محورية في الحرب وكنظام استعماري في شمال افريقيا، فالاحتلال الألماني لفرنسا في جوان **1940** قد أحدث هزة مدوية، وجعلت تداعياتها تتمدد إلى مستعمراتها فيما وراء البحار، وكانت الجزائر بحكم موقعها الجغرافي وأهميتها الاستراتيجية أبرز المناطق التي تأثرت بارتدادات هذه الأزمة.

لقد أصبحت الجزائر خلال هذه الفترة عاصمة لفرنسا على الصعيد السياسي، والأرض التي احتضنت مقاومة الفرنسيين منذ **1942**، وفيها نشأت المؤسسات المدنية والعسكرية فيما بين **1943-1944**، وكانت منطلقا لتحرير فرنسا من الاحتلال الألماني في صيف **1945**، وأثناءها، تهاوت صورتها في أعين الجزائريين. ذلك أن الغزو الألماني قد قسم النظام الفرنسي وعزل الجزائر عن المتروبول وأفقد فرنسا مكانتها في عقول الجزائريين.

لقد فقد النظام الاقتصادي ملحقاته والياته العضوية مع الخارج ولم تعد الحكومة الفرنسية قادرة على الاستمرار في التعامل مع الأسواق الخارجية وفشلت في تطبيق محاولات الإصلاح وتم غلق التعاملات مع فرنسا بسبب الظروف السياسية والعسكرية وبدت هشاشة النظام الاقتصادي الاستيطاني الاعرج، الذي تأخر في إحداث نقلة في استغلال العنصر البشري خارج

نطاق الزراعة. وهكذا عبر تيري (TERIER) بعد عوته من مهمة تفتيشية قادته إلى الجزائر وتونس "رغم تفاؤل بعض المسؤولين بشأن الوضعية في الجزائر إلا أنه يبدو بأن الأمور تسير نحو الأسوأ" ساهم تدهور الظروف الاجتماعية وتزايد عدد السكان في المدن وأزمة التموين وانهيار المستوى المعيشي وارتفاع نسبة البطالة وتدهور الأوضاع الصحية وتفشي الأوبئة والأمراض وتنامي الظلم الاجتماعي وتوسع مظاهر الاحتجاج[7] في إعداد بيئة خاصة كانت تبحث بإلحاح عن مخرج للوضعية المأسوية التي وصلت اليه الأوضاع وفي خضم هذا الجو برز فرحات عباس كتعبير عن هذه المرحلة وعمر حالة الفراغ في المعارضة وساهم في تأطير النقاش العام.

2/ 2- نزول الحلفاء في الجزائر والرسالة السياسية

اتسمت مرحلة حكومة فيشي بقيادة المارشال بيتان بالتنفيذ الحرفي لتوجهات المانيا، فقد تقرر الاحتفاظ بغلق النشاط السياسي في الجزائر، وتعرض أعضاء حزب الشعب للاضطهاد بعدما زج بمصالي الحاج في السجن[8] وتم تشديد الخناق على نشاط أعضاء جمعية العلماء ولم يكن تأثير الحزب الشيوعي يذكر في الساحة السياسية وتم الغاء العمل بقانون كريميو وتولت الوصاية المطلقة على الشأن العام، وساهمت من جهتها حالة الفراغ الذي عاشته الجزائر في الساحة النضالية، من ظهور شخصيتي بن جلول وفرحات عباس، وإذا كانت تجربة الأول قد جعلت صورته في الأذهان غير مقنعة بسبب تذبذب مواقفه خلال فترة الثلاثينات، فإن الثاني لم يكن قد استهلك بعد فرصته في القيادة، ولعل التغيير السياسي الأكثر تعبيرا في الحركة السياسية أثناء الحرب هو الذي أقدم عليه فرحات عباس والذي اعتبره السياسيون الفرنسيون بمثابة سوء النية[9].

بينما كان بالنسبة للجزائريين استفاقة تستحق الاهتمام سيما وأنها جاءت في وقت غابت فيها الأصوات السياسية التي كان بإمكانها أن تكون منفذا للتعبير عن ضغط ظروف المرحلة.

كان نزول الحلفاء بالجزائر حدثا استثنائيا، فمنذ اليوم الموالي للإنزال أصبح الوضع تحت سلطة الحلفاء وانتهت سلطة فيشي[10] فالأمريكيون والانجليز كانا قد وقعا في **14** اوت **1941** على ميثاق الأطلسي الذي تضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها، ولأول مرة ستعرض المطالب الوطنية بشكل مباشر على مهندسي السياسة الدولية، واستفاد الجزائريون من الدعاية الخارجية التي لعبت دورا حاسما في كشف تناقضات الصراع الدولي وعيوب السياسة الاستعمارية، وجسدت إذاعة راديو برلين الصدارة في هذا الباب[11].

واخذت المذكرة التي تقدم بها فرحات عباس للرئيس الأمريكي روزفلت في **20** ديسمبر **1942** نصيبها في النقاش الحاد حول المطالب الوطنية، ولفتت نظر الحلفاء للمشكل الجزائري، فهي قد عبرت عن استعداد أصحابها في تعبئة الشعب الجزائري للحرب ضد المحور مقابل الحرية واصلاحات شاملة، غير أن وصول المذكرة الى المندوب الفرنسي جيرو في **22** ديسمبر **1942**، جعلته يتملص من مناقشة الموضوع بحجة الظروف العسكرية والحربية غير المواتية.

لقد علق الجزائريون أمالا واسعة بعد نزول الحلفاء، واعتبروها فرصة لهم أمام السلطة الجديدة في الاستجابة لطموحاتهم في تغيير أوضاعهم ورغم أن تهرب الحلفاء وفرنسا من التعاطي مع الموضوع بصورة إيجابية إلا أن

الحدث حرر الجزائريين نفسيا واستمر في التعبير عن ذلك في مطالب بيان **10** فيفري .**1943**

3/2- بيان **10** فيفري **1943** وظهور معالم الطريق الجديد

لقد تم كتابة البيان في الجزائر العاصمة ووقعه **21** مندوب ومستشار بلدي، وأدان الاستعمار والالحاق واستغلال شعب للشعب أخر، ودعا إلى حق الشعوب في تقرير المصير وإلى تزويد الجزائر بدستور خاص يكفل الحرية والمساواة في السياسة وفي الاقتصاد والثقافة والاعلام وفي الشأن الديني، وطالب بالمشاركة الفعلية للمسلمين الجزائريين في حكم بلادهم وإلى اطلاق سراح المعتقلين السياسيين[12].

لقد كان البيان وثيقة تاريخية بعيدة عن أن تكون تعبيرا عن الأحقاد وتوجهت الى سلسلة من السلط المحلية والخارجية وعكست بكل موضوعية حصيلة قرن من الاستعمار ومثلت تراجعا صريحا عن فكرة الادماج وعدلت بطرحها موازين القوى، وهي في النهاية قد أكدت على مبدا جديد لسياسة عامة تطالب بديمقراطية فعلية للجزائر وللشعب الجزائري وهي ترجمة لتطور في العقل تحت تأثير الأحداث الكبرى في الداخل وفي الخارج[13].

لم تكن الإدارة الاستعمارية قادرة عن التخلص من النظرة اللحظية للمشاكل المطروحة ولم تكن مستعدة لتقييم حصيلة اكثر من قرن لم يهدا فيه الشعب الجزائري في الدفاع عن حقوقه المشروعة، ولم تستطع مراجعة سياستها القائمة على اقصاء العنصر الجزائري كمكون أساسي في مسار الحياة بشكل عام، وعادت مرة أخرى بعرض مشاريع إصلاحية مستوحاة من مشروع بلوم فيوليت، وشكلت لجنة اصلاح إسلامية في جانفي **1944**،

غير أن هذا الأسلوب أضحى عتيقا في نظر القوى السياسية الوطنية ولا يعدو أن يكون بالنسبة لها إلا اجراء إداريا جائرا وأنها لازالت ثابتة في موقفها المناوئ للفاشية والنازية[14].

لقد اختار الوطنيون استكمال الطريق في نفس المقاربة التي طرحها البيان، وأسسوا في مدينة سطيف بـ **14** مارس **1944** تنظيما جديدا حمل اسم (أصدقاء البيان والحرية)، وسجل رسميا في قسنطينة وكان يضم النواب والنخبة وحزب الشعب والطلبة والكشافة والعلماء، وشكل جبهة مكونة من متحالفين أكثر منه حزبا سياسيا منصهرا في أيديولوجية وعضوية موحدة، وتولى فيه فرحات عباس الكتابة العامة، وتشجع أعضاءه بالنفوذ الأمريكي الإنجليزي وبالضعف الذي دب في فرنسا وباستعداد الشعب للتضحيات.

استطاع هذا المولود الجديد أن يضم اليه حوالي نصف مليون من الأتباع يتوزعون على **165** فرع من القطر الوطني، وبلغت أعداد مطبوعات جريدته ما بين **300** الى **500** ألف نسخة يوميا، وكان هذا أول مؤشر عن تحول في معالم الطريق الجديد الذي استوعب معظم الأطياف الوطنية، وعكس الجو النفسي العام لدى الشعب الجزائري الذي كان مستعدا سلفا للانخراط في حركة وطنية جامعة، سيما وأن التنظيم أعلن بأنه سيدافع عن مطالب البيان ومناهضة الاستعمار، وزاد من نشاطه في الدعوة إلى اليقظة الوطنية وإلى محاولة تكوين جبهة موحدة للوصول إلى تحقيق أهداف البيان المعلنة في ملحقه والتي كان من المفترض تأجيلها إلى ما بعد الحرب[15].

رغم أن الحزب الشيوعي لم يكن قريبا من توجهات أحباب البيان والحرية، إلا ان عمار آوزقان الكاتب العام للحزب الشيوعي الجزائري، قد ساند

عبر جريدته اليومية (الجزائر الجمهورية) وجريته الأسبوعية (الحرية – لبارتي)، كما ساندته الكشافة وأحباب الديمقراطية (منظمة شيوعية).

لقد كانت فرنسا تدرك خطورة الأفكار التي حملها البيان، ولم تكن دلائل الخوف منه مضمرة، ذلك أن تصريح الجنرال كاترو الحاكم العام ساعة صدوره كانت واضحة، فهو الذي دعا إلى ضرورة القضاء على هذه العاصفة في إشارة الى الحركة الوطنية[16] وكانت هذه التطورات المتداخلة والمتسارعة في صلب الأحداث التي ستعرفها الجزائر في الفاتح من ماي **1945**.

3- مأساة 8 ماي 1945

1/ 3- خلفية وملابسات مأساة **8** من ماي **1945**

لقد اختلف المؤرخون والباحثون عن الأسباب التي كانت وراء مجازر **8** ماي، ذلك أن جسامة الأحداث وما ترتب عنها من مسؤولية أخلاقية وإنسانية بالنسبة للأطراف الفاعلة فيها جعل الوثائق المعروضة متعددة ومتضاربة ومن مشارب مختلفة بما يستدعي قراءتها بتحليل مضامينها واستبيان حقائقها، وإذا كانت هذه الصورة تبرر الانقسام في المواقف بين من يعتبرها ثورة جوع وبين من يكتفي بنعتها بالأحداث ومن يصفها بأعمال الشغب وبين من يكيفها باعتبارها جرائم ضد الإنسانية فإن ذلك لا يمنع من استمرار التدقيق في طبيعتها وفحص مجرياتها واستبيان خيوطها حتى تتحدد الجهة المسؤولة.

كانت كل المعطيات المستجدة في الميدان السياسي والعسكري وفي الواقع الاقتصادي والساحة الإعلامية أثناء فترة الحرب كما راينا سابقا، تسير في اتجاه عزز استمرار تصاعد التيار الوطني وبلور الوعي القومي، فسلسلة

المساعي التي قادها فرحات عباس بصفته الشخصية المعبرة عن الواجهة التي كانت تحجب من ورائها أفكار حزب الشعب وطموحات جمعية العلماء المسلمين وتطلعات بعض الشيوعيين وأمال الشعب الجزائري، كانت كلها تدفع بزحف تدريجي نحو المطالبة بالاستقلال الوطني، وكانت الفترة التي أعقبت انعقاد المؤتمر الأول للحزب في جانفي **1945** مواتية استغلها النشطاء الوطنيون في مساعي حثيثة لحمل الشعب على المشاركة القوية في احتفالات عيد النصر بتوقيع الهدنة في **8** ماي **1945**.

تحمل التقارير الصادرة عن الشرطة وعن الدرك والجهات العسكرية التي شاركت في هذه الأحداث معطيات عن تواريخ وسير المظاهرات والشعارات التي حملتها والجهات التنظيمية التي كانت تحركها وعن تدخل الشرطة والجيش وكذا المليشيات المدنية في توقيع ما تسميه تقاريرهم بالردع وإعادة النظام، ولعلنا اخترنا عينة عن هذه التقارير لما تحمله من تقصي لجملة الحوادث التي سبقت المظاهرات بحوالي سنة، وهي تحمل دلالات تعبر كما سنرى عن مساعي جادة من طرف سلطة الاحتلال في متابعة لصيقة لنشاط التيار الوطني وتحركاته، سواء بصفته مؤسسات على غرار أحباب البيان والحرية أو بصفته أفراد عن حزب الشعب وعن جمعية العلماء المسلمين بل وحتى من أوساط عامة الناس.

لقد تناول التقرير السري الذي أعده (BOBILLON) قائد السرب ووحدة الدرك بسطيف عن أعمال الشغب في المقاطعات الإدارية بسطيف وبجاية والمؤرخ بـــ **27** ماي **1945**[17] معطيات تفصيلية عن المقدمات المباشرة التي سبقت اندلاع المظاهرات ومجرياتها وكيف تمكنت مختلف الوحدات

العسكرية البرية والبحرية والجوية في التدخل وامدادات الدعم التي كانت تصل من قسنطينة وسكيكدة وبسكرة في تطويق المتظاهرين[18].

وقمعهم وكيف تطور الحس العدائي الحاد لدى الأوربيين حيال القادة والمدبرين للأحداث وحرصهم على توقيع الإعدام في حقهم وفي زعماء أحباب البيان والحرية وعلى رأسهم فرحات عباس ومساعده سيدي موسى والمحامي مصطفاي.

ثم انتقل الى وصف الحالة النفسية للأوربيين الذين لم يعودوا يشعرون بالأمن على مستقبلهم وابداء رغبتهم بالرحيل إلى فرنسا ومخاوف حراس الغابات المعزولين وطلبهم الحماية وكدا تصاعد أصوات تنادي بإلغاء أي عمل سياسي في الجزائر وإقرار حكومة عسكرية والإبقاء على الوحدات العسكرية في الأرياف لتسمح بعودة الحياة الاقتصادية وبحضر جريدة المساواة التابعة لفرحات عباس وتعتيم أكثر على الصحف.

لقد عرض التقرير في نفس السياس حصيلة ما افضت عنه التحقيقات الجارية بالعودة الى المنابع التي كانت وراء أعمال الشغب كما يسميها، والتي انتهت الى ربط أصولها بفكرة الوطنية استنادا الى عديد المؤشرات المعلنة في التقارير الشهرية عن الحالة النفسية للسكان، والتي لم تترك مجالا للشك، في وجود تحالف لأحباب البيان والحرية وحزب الشعب والعلماء لمحاربة الاستعمار والامبريالية الفرنسية، ومن أجل تطبيق الميثاق الأطلسي، وقد كان تركيز نشاط هذه الأحزاب على الفئات الشبانية وعلى نمو الحركة الكشفية وإليكم الوقائع التي ارتكزت عليها هذه الفرضية تبعا للتطور الكرونولوجي كما ورد في التقرير:

1- خطاب مفعم بالعنف القاه فرحات عباس في **15** جوان **1944** بخنشلة، والذي شدد فيه على اتفاق كل من أحباب البيان والحرية والعلماء وحزب الشعب على المطالب المتوخاة وفي مقدمتها الاتحاد، بحكم أن الظرف مواتي والمرحلة خطيرة، ولا يجب أن ننتظر إلى غاية تحرر فرنسا، فنحن نجهل فيما إذا كانت الجزائر ستبقى أرضا فرنسية... ولذلك وجب رفض حقوق المواطنة الآن، حتى تلوي ذراع الفرنسين، ولا بد من أن تكون حكومة جزائرية في الجزائر وليس حكومة عامة، ويستطرد بأنه لا شيء يجعلنا نتنازل عن مطالبنا، ولو كلفنا ذلك الاقتياد للسجن أو لحبل المشنقة.

2- في ليلة **13** إلى **14** جويلية **1944** علقت مناشير مكتوبة بقلم الرصاص في مدينة سطيف على واجهة مقر حلقة التربية، المكان الذي كان فيه فرحات عباس يجري اجتماعاته، وفي المقاهي الموريسكية وردت عبارات "لنثور من أجل الحرية والاستقلال" "يسقط الفرنسيون يحيا المسلمون" "أيها المسلمون اطلبوا حريتكم أو الموت" "بإذن الله سيتم القضاء عليكم بأيادي المسلمين" وحان الوقت الآن يرفرف العلم الجزائري فوق التراب الجزائري

3- خلال سنوات **1944-1945**، عبرت عديد المظاهرات الفردية عن دعوتها للاستقلال أو مقاومة السلطات على غرار (الحرس البلدي والقياد بل وحتى الدرك) وأخذت شكل اهانات وانتفاضات وحتى اعتداءات بالضرب.

4- سجلنا تضاعفا في عدد الافواج للكشافة الإسلامية مصحوبا في ارتفاع خرجاتها ومخيماتها وفي العروض التمثيلية والمسرحية التي كانت

تقدمها، وحتى في المبيعات المستحدثة في المزاد العلني على الطريقة الأمريكية وكانت الجمعية التي يمتلكها فرحات عباس توشك على تقديم استعراضاتها كل يوم.

5- في غضون أفريل **1944** ترددت أصداء في البلدية المختلطة بأقبو (بجاية) باقتراب موعد الانتفاضة التي أمرت بها "العيون الحمراء" والتي تعتزم تعقب الفرنسيين. وترددت أخبار من البلدية المختلطة بمنصورة في مطقة البيبان تتوعد بانطلاق حركة انتفاضة من القبائل الكبرى.

6- **12** نوفمبر **1944** قام الدكتور سعدان بصفته أحد المقربين لفرحات عباس في اجتماع نظمه ببسكرة، ضد سياسة الادماج وصرح بأن مرحلة النقاشات العقيمة قد ولت ويتعين علينا الانتقال للفعل.

7- **13** نوفمبر **1944** علق فرحات عباس خلال محاضرة ألقاها في خنشلة على برنامجه قائلا: أنه يستهدف "انشاء دولة جزائرية مستقلة ببرلمان جزائري صرف" وأنه سيضم "أحباب البيان والحرية وحزب الشعب والعلماء"

8- **26** نوفمبر **1944** حاكم فرحات عباس في اجتماع بجيجل الاحتلال قائلا "أن كل الأمم تكافح من أجل العلم ويتعين علينا نحن بدورنا أن ندافع عنه"... علينا افتكاك مطالبنا قبل امضاء اتفاقيات السلام اذ أن الحكومة العامة للجزائر مازالت هي نفسها فهي التي تعد بكل شيء بدون أن تفعل شيئا حينما يتعلق الامر بنا".

9- خلال سهرة بسطيف أقامها تلاميذ المدرسة المحلية في **27** نوفمبر **1944**، بيعت لوحة تحمل صورة فرحات عباس بـــ **20.000** فرنك في

المزاد على الطريقة الأمريكية في حين عرضت نجمة البحر في نفس الظروف ولم تحصد إلا **4200** فرنك.

10- طالب العدد **9** من جريدة المساواة بتاريخ **10** نوفمبر **1944** بإطلاق سراح مصالي زعيم حزب الشعب.

11- 30 نوفمبر **1944** تم تدبير مؤامرة من طرف الأهالي من أجل تقديم أسلحة حرب وذخيرة لأحد الأنصار من المناطق المجاورة، وبعد القبض عليه في جيجل توصلت عمليات اقتحام بيوت الأهالي الموقوفين إلى اكتشاف الجرائد الوطنية السرية (العمل الجزائري) ووثائق أخرى لحزب الشعب، وكذا اثنين من المتهمين كانا عضوين في المجلس المحلي لأحباب البيان والحرية.

12- ما بين ديسمبر **1944** وفيفري **1945**، وفي مستهل كل ليلة، كان مجموعة الشباب في جيجل، يتحرشون بالأوربيين، وهي أفعال غير لائقة وكانت مخيفة للسكان.

13- 4 جانفي **1945** أسفر اجتماع عام لانتخاب الفوج المحلي لأحباب البيان والحرية بمدينة مسيلة عن مطالب الحزب بشكل دقيق، اذ توصل المسلمون إلى أنه "لا يوجد لا قياد ولا اداريين ولا والي ولا حاكم عام".

14- أكدت الجريدة السرية لحزب الشعب في عددها **9** (العمل الجزائري) بأن التحرر الوطني لا يمثل قرصة لبلوغ الحقوق فحسب ولكنه يمثل ضرورة سياسية حيوية بالنسبة لشعب محتل، ولا سيما الشعب الجزائري.

15- في ليلة **23** و**24** فيفري ظهرت كتابات وطنية بالطبشور على حواف الطرق الرئيسية في جيجل "أيها الجزائريون إن الجبال تناديكم "استقلال الجزائر" "أطلقوا سراح مصالي، اقترب القصاص".

16- في **1** مارس صرحت احدى الخادمات في بيوت الأوروبيين لسيدتها: «ستكون ثمة ثورة عن قريب. لقد سمعتها من عدة أفواه مسلمة، عليك بالحذر والزمي مكانك، سأغادر فورا، وفي **2** مارس نقل عن محافظ الشرطة تردد صدى على لسان الأولاد باحتمال قرب اندلاع انتفاضة.

17- في منطقة عين "روة" بلدية بالقرب من سطيف، قال أحد المريدين لطائفة دينية بلاد القبائل لأحد الأغنياء الملاك "لقد كنت دوما طيبا وكريما معنا، وإذا ما حدث أمرا ما، فخذ برنوسك والتحق بنا، وسنؤمن لك حياتك وحياة عائلتك".

18- استنفذ أحباب البيان والحرية ابتداء من مارس **1945** مجهودات حثيثة في نواحي بجاية بتازمالت وبلغنا عقد اجتماعات ليلية للمجلس المحلي للحزب وتم اعتماد مقترحات معادية لفرنسا مفادها: (لا تعملوا لحساب الفرنسيين عليكم بالاستعداد وسلحوا أنفسكم فالثورة ستنطلق من القبائل الكبرى).

19- أعلنت مقترحات من مصادر مسلمة عن انتفاضة عامة لأفريقيا الشمالية يوم **30** أو **31** مارس**1945** بزعامة مصالي الحاج وفرحات عباس. كما ترددت أصداء عن اعتداء الأهالي في باتنة على شخصيات مرموقة على غرار الوالي والمتصرفين الإداريين.

اعتبر صاحب العرض أن هذه الوقائع التي جرت خلال العشر أشهر الأخيرة، كانت بمثابة قرينة عن النشاط الحثيث للحركة الوطنية والعنف المتزايد لهذه المظاهرات ولقد وصلنا إلى العهد الذي يسبق الثورة وهي تعزز بعض الملاحظات التالية واحتمال التحضير لحركة مريبة.

- في **7** أفريل **1945** زار المحامي مصطفاي عين الكبيرة اين تراس اجتماعا في **26** من الشهر وشرع رسميا في انشاء فوج عن احباب البيان والحرية في عين ابسة ويمتد الى عين روة
- نظم عباس ومصطفاي اجتماعا في بني عزيز بالمدرسة يوم **28** افريل تزامنا مع يوم السوق
- في **19** افريل **1945** نظم الدكتور بن خليل عن أحباب البيان والحرية اجتماعا خاصا بعيادته ، بهدف انشاء مجموعات مقاومة في حالة وقوع احداث، وتم اختيار **15** قائدا من بين الحضور. وفي **9** ماي في اليوم الموالي لأعمال الشغب التي وقعت بسطيف، عبر بن خليل في اجتماع خاص عن اسفه بعدم تواجده ليلة **8** و**9** من ماي بباتنة والا كان سيثير قلاقل، ويكون قد اشاد بحرارة المسلمين الذين لم يترددوا للتضحية من اجل حب الوطن واستقلاله في خضم الحرائق الأخيرة.
- نظم بيوض حاج براهيم مناضل في جمعية العلماء المسلمين عن الغرارة اجتماعا خاصا بباتنة في **20** افريل **1945** وحث على وحدة المسلمين وأضاف ان المسلمين على اعتاب موعد مع حدث مثير وبانه يعول على إرادة كل الأنصار للاستجابة لنداء كلمة النظام العام الذي يحتمل الصدح به قريبا.

- قام المسلمون باستعراض يوم **1** ماي **1945** بسطيف وبجاية وجيجل وواد اميزور وخنشلة وهم يحملون لافتات "اطلقوا سراح مصالي" "يسقط الاستعمار" "مساواة الاجناس" وعقب توقيف احد المتظاهرين الأساسيين، وكان أستاذا بالمدرسة المحلية اعترف بانه " لم تكن هناك حرائق في بجاية، وتوالت صيحات المتظاهرين بكلمة الجهاد والحرب المقدسة وكذلك كان الحال في خنشلة اذ ارتفعت صيحات "تحيا الحرب المقدسة ".

استنادا لهذا التقرير فان مأساة الثامن من ماي **1945** قد كانت ضمن الاستعدادات الفرنسية التي كانت تراقب عن كثب تصاعد التيار الوطني، ويبدو ذلك جليا من خلال الإشارة للمشاركة المكثفة للقوات العسكرية والأمنية والانتشار المكثف لوحدات التفتيل في القرى والارياف، وانخراط المستوطنين الذين كانوا على امتداد الفترة الاستعمارية متمسكين بمبدأ سمو افضلية العنصر الأوربي على حساب العنصر المحلي، وتكتلوا ضمن مختلف الهيئات والجمعيات لاحتكار تدبير الشأن العام ومحاصرة كل مبادرة في سبيل تغيير الأوضاع.

لقد شارك المستوطنون بكل فعالية في التهويل الإعلامي وفي حشد الأنصار وزرع الخوف في أوساط الأوروبيين من انتفاضة قادمة تهدد وجودهم، وهو ما حمله تقرير صدر عن محافظة الشرطة المركزية بسطيف في **18** ماي **1945** عن حركة وطنية وانتفاضة من تدبير احباب البيان والحرية وحزب الشعب[19]. ليختتم في النهاية بان السكان الاوربيين قد ارعبتهم الانتفاضة ويتعين توقيع القصاص في حق مدبريها بل وعبر السكان الاوربيون عن ان مستقبل العيش في الجزائر لا يمكن ان يتحقق الا بإعدامهم وبان الردع الى

غاية اليوم ليس كافيا، وطالبت بحمل السلاح للدفاع عن امنها وهي من يتولى توقيع العقاب بعيدا عن القضاء وهدد البعض منهم بالتخلي عن محاصيله والرحيل الى فرنسا.

لقد أبدت المقالات المرتبطة بالموضوع استياء صريحا حيال موقف السكان الاوربيين ولا سيما جريدة "المساواة" وفيما ادانت بعض الأقلية المسلمة اعمال المتظاهرين فان اغلبية الشباب الذين يحملون الأفكار الانفصالية لم يثنهم الردع عن الاحتفاظ بالأمل في جزائر حرة ومستقلة[20].

كان حماس المسؤولين الفرنسيين يعكس إصرارا واضحا في الانتقام، فقد اعرب الممثلون الاوربيون في قالمة بالأجماع عن انهم انقدوا قالمة من مصير مدمر لولا حيوية نائب الوالي اشياري، ويرون بان كل ما تم القيام به كان مشروعا وطالبوا بضرورة بالمعاقبة الاستباقية الصارمة وبانهم يرفضون بإلحاح كل من يقف في وجه العقاب الموقع[21].

هكذا كان المستوطنون ومن يدعمهم وراء دعم اعمال الإبادة الوحشية وهذا ما يفسر حجم الضحايا المرعب ، ولنترك العقيد شميت (schmidt) قائد المجموعة المتنقلة للتدخل يوجدة التابعة لوحدات المغرب رقم **117** في شهادته التي تغني عن كل تعليق.

كتب الى قائد القطاع **19** للجيش بالجزائر قائلا:

لقد رأيت شخصيا وكل يوم، مليشيات مسلحة تغادر قالمة بشاحنة في كل نهاية الظهيرة، لتنفذ ضربات تقتيل بالمناطق المجاورة، اذ وخلال دوريات الشرطة، رأيت على حافة الطريق جثثنا مرمية لأهالي جزائريين، ونجدهم أحيانا في وضعيات حزينة، ولقد أعلمت العقيد مونيو (MONNIOT) قائد

وحدة عنابة وأكدت هذا بعروض حال ومحاضر عبر مراسلات كنت أبعث بها.

وقد كتب قائد الفيلق اوبان (hubin) ما يلي: كانت هناك مجموعات من الفتلة مشكلة من الفرنسيين وأجانب وحتى سجناء، وكانت تجوب وتقتل بطريقة متوحشة وبدون مراقبة ولا حكم، وتسقط مجموعات بالمئات لكل الأهالي الذين تصادفهم في طريقها

انني احتفظ بأقوالي وأوكد اني رأيت هذه المجموعة تتنقل ينما كنا في قالمة، بل وكل الفيلق كان يشاهدها (شاحنات متجهة نحو واد الشارف (lapaine) بمعنى انها كانت تمر بالقرب من معسكرنا وهي محملة بالمدنيين وبرفقة أحد او بعض المساجين الايطاليين وهم مسلحين ببنادق صيد وبنادق حرب مع ان ذلك كان يعطي انطباعا سيئا عنا عند الايطاليين[22].

خاتمة: هذه مجرد عينات عن المعطيات المروعة التي حملتها التقارير عن **8** ماي **1945** وهي في مجملها تؤكد على طابع الانتفاضة لهذه الاحداث ومهما يكن فان الثابت هو ان الجزائريين تشبعوا من حجم تراكمات المشاكل المعقدة وغير المنتهية والتي ارتبطت أساسا بفلسفة السياسة الاستعمارية التي فامت على الإبادة وأقصاء العنصر الجزائري من منطلق انه يحتل انسان الصف الثاني ولا يرقى لمستوى المواطن كما ان الذين يحاولون ربط هذه المأساة بالجوع والخبز لا يفهمون عقل الجزائري الذي ارتبط بالأرض والدفاع عن العرض وهذه هي الصفة العامة التي حكمت مواقفه عبر العصور كما ان الوثائق الاستعمارية نفسها لا تنفي مطلقا هذه الميزة واما عن الضحايا الذين سقطوا فعددهم قد يقوق المصرح بهم ذلك ان المستوطنين الذين نفذوا جرائمهم مازالت احصائيات ضحاياهم مجهولة

كما أن التقارير الأمنية أحصت عدد القتلى الفرنسيين ولا تقدم أرقاما عن حصيلة عمليات القتل الجماعية والتي أدارتها القوات المشتركة لمختلف القطاعات والأسلاك.

– الهوامش:

1- Ben Youcef Ben Khedda. Les Origines Du Premier Novembre **1954**,**3**me Ed. Houma، Alger، **2009**.P**71**

2- Jaque cantier, l'Algérie sous le régime de vichy. Paris .**2002**.pp**33-44**antie

3- Expose des travaux de la chambre de commerce d'Alger .année **1938-1939** seance **2** mars **1938** pp**550-552**.

4- AOM.GGA.**15** G/1.LA PRESSE LIBRE DU **14** JUIN 1936.

5- AOM. ALGERIE .GGA**15**G/**1**. LETTRE ABBO. **13-6-1936**. Alger

6- AOM. ALGERIE. GGA. G**1** ALGERIE . **15**H/**24** « DJAZIRA » **22-12-1937**.

7- حسان مغدوري: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية (**1939**–**1945**) أطروحة دكتوراه، غير منشورة، اشراف بوعزة بوضرساية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015، ص ص**267**–**348**.

8- Montagnon Pierre, Histoire De L'Algérie-Des Origines A Nos Jours ; Ed Pygmalion Gérard Watelet ,(Sd) Paris .P**236**

9- Ahmed Mahsas. Le Mouvement Révolutionnaire En Algérie De La 1ere Guerre Mondiale A **1954**.L'harmattan Paris **1979**.P**163**.

10- Claude Martin, Histoire De L'Algérie Française, Centre Français D'Edition Et De Diffusion Robert Laffont, **1979**.P**71-72**.

11- AOM. ALGERIE GGA.16H/61 SERVICE GENERALE DE L'INFORMATION EN ALGERIE

12- رضوان عيناد تابت: **8** ماي **1945** والابادة الجماعية في الجزائر. تر: سعيد محمد اللحام، منشورات anep، **2005**، ص**25**–**26**.

13- Youcef Beghoul, Le Manifeste Du Peuple Algérien ; Les amis Du Manifeste Et De La Liberté ; Contribution Au Mouvement National, Édition Dahlab .2007.p28.29.

14- سعيدوني ناصر الدين، أحداث **8** ماي **1945** ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة وكفاح مرير" مجلة الذاكرة، العدد**2**، المتحف الوطني المجاهد، **1995**، ص**11**–**12**

15- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج**3**، عالم المعرفة الجزائر **2009**، ص**227**

16- نفسه:

17- AOM. ALGERIE 40G/33RAPPORT DU CHEF D'ESCADRON BOBILLON CDT LA COMPAGNIE DE GENDARMERIE DE SETIF

في **09** ماي عين بسة وسوق الاثنين وخراطة (Lafayette) وبوفاعه ويم **10** تدخلت قوات البحرية القادمة من بجاية ببني عزيز (chevreuil) وفي يوم **11** ماي وكانت الوضعية حرجة بمنصورية لولا تدخل وحدة القناصة ويوم **12** ماي تخل الطيران بدوار بني سيار بالبلدية المختلطة للطاهير وفي **13** ماي تدخلت وحدة من الكتيبة السينغالية بالمناطق الجبلية لبني سيار ويوم **14** ماي عملية تمشيط بمرافقة الطيران في جبال البابور اين اعتصم المتمردون لعين لكبيرة بني عزيز وتمنطوت. انظر:

18- . Ibid.

19- Aom. Algerie.GGA.G**1**/**40**g. Rapport Mouvement Nationaliste Et Insurrectionnel Du **8** Mai **1945**. Commisariat Central Sétif. **18** mai. **1945**.

20- Ibid

21- AOM. Algérie .GGA . **40** G/ **33**le Préfet, L'inspecteur General De L'administration Batisstini **05** Juin **1945**

AOM. Algérie .GGA. **40** G/ **33** Cabinet Angeli .Tribunal Militaire Permanent De Constantine Oujda **11** Juillet **1945**